

الحلقة الواحدة والأربعون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل تعلم صديقي أن هناك علاقة وثيقة بين طبيعة الحياة التي تعيشها وأسلوبها من جهة، وطول العمر من جهة أخرى؟ فتحت عنوان التفاوض وأسلوب الحياة هما الطريق للعمر الطويل جاء التقرير التالي:

أثبتت دراسات علمية أن الجينات تتحكم بنسبة ٢٥ بالمئة فقط من عمر الإنسان، بينما يلعب التفاوض وأسلوب الحياة والغذاء السليم الدور الأكبر في إطالة عمر الإنسان. وأضافت الدراسة التي أجراها باحثون من السويد، أن العمل والنوم المنتظمين والعادات الثابتة من شأنها إطالة العمر. وأشارت الدراسة إلى حياة الرهبان والراهبات وزيادة متوسط الأعمار بينهم، وأرجعت السبب في ذلك إلى خلو حياة هؤلاء من الضغط العصبي والزمني. وأكدت الدراسة أن الانفعالات الزائدة والمعاناة الجديدة مع مشاكل الحياة اليومية تؤدي إلى أمراض القلب والدورة الدموية، حيث ينزل معها منحنى العمر.

وأشارت دراسة أخرى إلى أن الغذاء السليم أحد العوامل الهامة في إطالة عمر الإنسان، واستشهدت بسكان جزيرة أوكيناوا اليابانية التي يعيش بها أعلى نسبة من كبار السن فوق التسعين عاما، بسبب نوع الغذاء الذي يشمل الأسماك والخضراوات ومنتجات الصويا وبسعات حرارية أقل بمقدار الثلث عن المعتاد في باقي أنحاء العالم.

وأظهرت دراسة خاصة حول أهمية التفاوض أجريت على الهولنديين أنه لا يساعد على التمتع بالحياة فحسب، وإنما يطيل العمر أيضا بسبب القدرة العالية على التعامل مع المشاكل، بينما يؤدي التفكير السلبي إلى الأمراض.

صديقي المستمع، بالفعل إنها نتائج قيمة تلك التي توصلت إليها هذه الدراسات. وهي تؤكد على أهمية العامل النفسي ليس في تجنب الأمراض المستعصية فحسب، بل في إطالة العمر أيضا. ولقد نبهتنا كلمة الله المقدسة ومنذ مئات السنين إلى هذه الأمور، والتي ربطت بين حياة الإنسان الهادئة والمتفائلة وطول العمر. فما هو سليمان الحكيم يكتب قائلا:

"طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم. لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص. هي أثنى من اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها. في يمينها طول أيام وفي يسارها الغنى والمجد. طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام. هي شجرة حياة لممسكيها والتمسك بها مغبوط." (أمثال ٣: ١٣-١٨)

يقول سليمان الحكيم هنا: مغبوط أو يا لسعادة هذا الإنسان الذي يعرف أن يعيش بحكمة وفهم، أي يستطيع أن يعيش بروية وهدوء وتفاؤل، ويتمتع بالحياة الحقة. لأنه في ذلك يكون كمن يتاجر تجارة رابحة، إذ هذه التجارة أفضل من تجارة الفضة والذهب. وأثنى من كل اللآلئ والجواهر.

ولم يقف سليمان الحكيم عند هذا الحد بل تابع قائلاً: أنه في يمينها أي نتيجة لهذه الحياة الحكيمة والهادئة سيحصد الإنسان طول الأيام، أي إطالة العمر، وتزدهر حياته المادية أيضاً. وسيجد في أسلوب الحياة هذا السلام والراحة. وأكد سليمان الحكيم في الختام أن نهج الحياة هذا، هو كشجرة الحياة، التي تشير إلى النضارة والخصب والنمو والاستمرار. وأن الذي يتمسك بهذا النهج هو إنسان مغبوط أي سعيد. ولا عجب في ذلك فهو عرف كيف يعيش الحياة الحقة.

مستمعي الكريم، لعل السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن هو: كيف بإمكان الإنسان أن يعيش حياة حكيمة هادئة يسودها التفاؤل في وسط عالم مليء بالمشاكل والهموم؟ وهل هذا أمر ممكن؟ لقد ربطت كلمة الله المقدسة بين الحكمة ومعرفة الله الحقة. ولهذا كتب سليمان الحكيم أيضاً قائلاً:

"يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك، حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتعطف قلبك على الفهم. إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز. فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله. لأن الرب يعطي حكمة. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين. هو مجن للسالكين بالكمال. لنصر مسالك الحق وحفظ طريق أتقيائه. حينئذ تفهم العدل والحق والاستقامة. كل سبيل صالح." (أمثال ٢: ١-٩)

على الإنسان إذن أن يسعى لطلب الحكمة والفهم، كسعيه وراء الفضة، وكبحثه عن الكنوز. وعندما يفعل ذلك سيكتشف مخافة الرب ومعرفة الله الحقة. وسيدرك أن الله نفسه هو مصدر الحكمة، وأن عنده المعرفة والفهم. وعندما تتحدث كلمة الله عن الحكمة

والفهم والمعرفة، فهي لا تقصد هذه الخصائل بالمعنى الفلسفي لهذه الكلمات، لكنها تشير إلى المعنى العملي لها. أي الحكمة التي يسلك الإنسان على ضوءها في حياته اليومية، والفهم العملي، ومعرفة كيف يتخذ القرارات الصحيحة. والذي يؤكد على صحة هذا التفسير هو قول كلمة الله هنا، أن الله يذخر معونة للمستقيمين، وهو مجن أي ترس أو ملجأ للسالكين بالكمال، وهو ينصر السالكين بالحق ويحفظ طريق أتقيائه. أي أن كلمة الله تتحدث هنا عن السلوك اليومي السليم والصحيح.

كل منا يا صديقي يتمنى أن يعيش حياة مليئة بالحكمة والفهم، أي يسلك بنهج سليم، ويكون واثقا من نفسه يواجه الأزمات بهدوء وتفاؤل. وهذا الأمر لن يحصل هكذا بمحض الصدفة، بل على الإنسان أن يسعى لطلب هذه الحكمة الحقّة والمعرفة السليمة.

إذا كان الله هو مصدر الحكمة الحقّة والمعرفة. فكيف بالإمكان معرفة الله والتقرب إليه؟ للجواب عن هذا السؤال الهام نقول: لقد أعلن الله نفسه إلينا من خلال المخلص المسيح. إن المسيح هو كلمة الله الأزلي، هو الحكمة أو العقل المدبر، الذي تجسّد وصار إنسانا. لقد تجسّد المسيح لكي يعرفنا بالله المعرفة الحقّة، ولكي يقربنا إليه تعالى. وها هو المسيح يصرّح قائلاً: "أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي." (يوحنا ١٤:٦)

إننا نستطيع إذن أن نعرف الله عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، فهو الطريق الذي يوصلنا إلى الله الآب، وهو الحق الكامل أي الحكمة الحقّة والمعرفة، وهو مصدر الحياة. وبواسطته فقط نستطيع التقرب إلى الله. فهل تود صديقي أن تحيا حياة هادئة سليمة وسط عالم مليء بالمشاكل والهموم؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح فهو الوحيد القادر أن يمنحك سلام القلب من الداخل، وأن يملأ حياتك بالنشاط والحيوية والتفاؤل الإيجابي الصحيح.